الجمهورية العربية السورية

وزارة التربية

المركز الوطني للمتميزين

حلقة بحث للصف الثاني الثانوي بمادة الفلسفة بعنوان :



**الحب ... ما بين النظرية ...**

**والسلوك ...**

إعداد : سماح رنجوس

إشراف المدرس : شادي العمر

2014 - 2015

**الفهرس**

صفحة الغلاف.................................................................................................1

الفهرس.........................................................................................................2

أهداف البحث...................................................................................................3

إشكالية البحث..................................................................................................3

المقدمة..........................................................................................................4

متن البحث......................................................................................................5

-ما هو الحب...................................................................................................5

-ماذا يحدث عندما نقع في الحب...............................................................................6

-نماذج في الحب...............................................................................................7

-علم الحب....................................................................................................12

-الحب والكراهية والغيرة....................................................................................13

-حب من أول نظرة..........................................................................................14

-الكراهية ومرض السادزم..................................................................................14

-قسوة الحب..................................................................................................16

الخاتمة........................................................................................................17

المصادر والمراجع...........................................................................................18

**أهداف البحث :**

* التعرف إلى الحب وماهيته.
* التوصل إلى فكرة مبدئية عن هذا السر المختبئ بين دفاتر الكون، من خلال دراسة أفكار وآراء متعددة.
* معرفة الفرق بين الحب والكراهية والغيرة.
* التعرف أيضاً إلى مرض السادزم وتأثيره على حياة الشريكين.

**إشكالية البحث :**

يختلف الفلاسفة والكتاب والشعراء في آرائهم عن الحب، فكل شخص يعرفه بناء على نفسه، وينسبه إلى شخصه وشخص الحبيب، لكن ماذا لو لم يكن الحب كذلك؟! ماذا لو كان تعريفه مجهولاً، ليس كأي تعريف أطلق عليه، ماذا لو كان بريئاً من كل التهم والأفعال والمشاعر والأقوال التي نسبت له، فما هو الحب؟ أهو قصص نسجها أجدادنا أم حقيقة عاشوها؟ أهو فكرة تأتي و تذهب أم شعور يأتي نتيجة لأسباب عديدة، أم أفعال نقوم بها تدرج تحت تعريفه؟

**المقدمة :**

الحب ... شعور ... فعل ... أم فكرة ؟؟؟؟

الحياة كلمة تقولها ثم تستردها وتخفيها طيَّ قلبك، فيها الخير وفيها الشر، فيها الحلو وفيها المر، هي فسحة أتاحتها لنا الأقدار لنقول كلمتنا، ونعبر عن ذاتنا، ولننثر بقلمنا وريشتنا أحلامنا ورغباتنا الصماء، وها أنت أيها الإنسان، كنت منذ الأزل، وستبقى لآخر الدهر، ليس لكيانك انقضاء، سبحت في فضاء الأبدية، وطرت في عالم الخيال، وها أنت الآن سجين المادة، ولا شيء يحررك منها سوى أن تتوه عنها، أجل، فقد سرتَ في سهولها، وتسلقت جبالها، وهبطت أوديتها، وتسلقت صخورها، ودخلت كهوفها ،وحتى الآن لم تعرف سرها، إن سرها يكمن في حلمها الذي عرفته في السهل، وأنفتها التي أدركتها في الجبل، وهدوءها في الوادي، وعزمها في الصخر، وتكتمها وصمتها في الكهف، لكن السر الأعظم، يكمن في قلوب البشر الصافية، يكمن حيث الطهارة، حيث لا يوجد ما تدنسه ظلمات اليأس، ولا تحجبه غيوم الحقد والظلم، إنه الحب، أجل الحب، إن الحقائق العظيمة الفائقة لا تنتقل من بشري لآخر بواسطة الكلام البشري المتعارف، لكنها تختار السكينة سبيلاً بين النفوس، فنحن نخدر أنفسنا فنحتال عليها بجمال الرمز عن المرموز إليه، ونعيضها من الصورة الكاملة ملامح الصورة الناقصة، ومن النغم الأمثل نبرات جميلة من أنغام متقطعة، يمر بنا الحب مكتسياً ثوب الوداعة فنخافه ونختبئ في مغاور الظلمة أو نتبعه ونفعل باسمه الشرور.

فما هو الحب، وما مكانه من الإعراب بين كل هذا، أهو مجرد مشاعر تنتاب الإنسان في فترة معينة، أم هو أفعال تأتي جواباً لنداء الأرواح، أم مجرد فكرة لا تمد إلى الحقيقة من صلة ؟؟؟؟ وإذا كان الحب من الله، فلم الخوف من البشر ؟؟؟؟

بسط البحث :

ما هو الحب ؟

لقد طهرت روحي بالنار المقدسة لأتكلم عن الحب، وعندما فتحت فاهي لأتكلم وجدتني أخرس. كنت أترنم بأغاني الحب قبل أن أعرفه، ولما عرفته تحول الكلام في فمي إلى لهاث ضئيل، والأنغام في صدري إلى سكينة عميقة.

ما هذا الذي ندعوه حباً؟ ما هذا السر الخفي الكامن خلف الدهور المختبئ وراء المرئيات الساكن في ضمير الوجود؟ ما هذه الفكرة المطلقة التي تجيء سبباً لجميع النتائج ونتيجةً لجميع الأسباب؟ ما هذه اليقظة التي تتناول الموت والحياة وتبتدع منهما حلماً أغرب من الحياة وأعمق من الموت؟

الحب ليس مجرد ذكريات كتبت على شاطئ الرمال وسيمحوها الزمان ويرميها تحت الأقدام، الحب صرخة نقشت وحفرت على جدران أبدية من باطن النفس والوجدان، وأيقظت صمت النفس وسكونها، الحب همسة تدفع الدفء في العروق ولمسة تزرع الولع في الأنامل، الحياة من دونه كالعيشة بلا قلب، كالجسد بلا روح، والشتاء من غير المطر، كالصيف من دون الشمس، هو خمرة تسكر الروح وتسكب أسرارها في القلب، هو يدٌ توقد شعلة العواطف، وأصابع تعزف قيثارة العشق والهيام، يلفّ العشاق كما تلف الغيوم قمر السماء في ليلة حالكة، و يكحّل عيونهم بنظراته ودموعه، الحبّ أبكم، لكن داخله يصرخ صراخ الأرواح وينبض نبض الأبدية، ودموع عيونه الممزقة تبحث بقنوط عن شعاع الأمان.

الحب في نظر الكهل ضعفٌ فطريٌّ ورثناه عن الإنسان الأول، وعزم يلازم كياننا ويصل حاضرنا بماضي الأجيال ومستقبلها في نظر الفتى قوي الجسم، إنه سمٌ قتّال تتنفسه الأفاعي السوداء المتقلبة في كهوف الجحيم فيسيل منتشراً في الفضاء ثم يهبط مغلفاً بقطرات الندى فترشفه الأرواح الظامئة فتسكر دقيقة ثم تصحو عاماً ثمّ تموت دهراً. الحب كوثر تسكبه عرائس الفجر في الأرواح القوية فيجعلها تتعالى متجمدة أمام كواكب الليل وتسبح مترنمة أمام شمس النهار في نظر الصبية الحسناء، وجهالة عمياء تبتدئ ببدء الشباب وتنتهي بنهايته بنظر الرجل البائس اليائس. إنه معرفة علوية تنير بصائرنا فنرى الأشياء كما يراها الآلهة، وشعاع سحري ينبثق من أعماق الذات الحساسة وينير جنباتها فترى العالم موكباً سائراً في مروج خضراء والحياة حلماً جميلاً منتصباً بين اليقظة واليقظة بنظر الشاب الصبيح الفرح، وضباب كثيف يكتنف النفس من كل ناحية ويحجب عنها رسوم الوجود أو يجعلها لا ترى سوى أشباح ميولها مرتعشة بين الصخور ولا تسمع غير صدى صراخها آتياً من خلايا الوادي. الحب راحة الجسم في سكينة القبر وسلامة النفس في أعماق الأبدية بنظر الهرم، وهو الأب و الأم بنظر الطفل ولا أحد يعرفه سواهما.

كلّ إنسان يصور نفسه متكلماً عن الحب ويبوح بأمانيه معلناً سر الحياة، كما قال جبران خليل جبران : " فالحياة نصفان : نصف متجلد ونصف ملتهب، فالحب هو النصف الملتهب " وهو النار المقدسة، وأيضاً قال بابلو نيرودا : " آه للحب، شعاع مجنون، آه للخطر الأرجواني ".

ماذا يحدث عندما نقع في شباك الحب ؟

عندما تقع أيها الإنسان في الحب ترتقي ذاتك إلى مرتبة أسمى، يصبح جل تفكيرك بالحبيب وتصبح مستعداً لتقديم كل ما هو غال ورخيص في سبيل هذا الحب، فالحب إخلاص ووفاء، الحب ثقة وتضحية، أمل وغرام، عشق وهيام، هو الشخص الوحيد في حياتك إن شئت أم أبيت لا تجري عليه القوانين مثل باقي الأشخاص، يغضب فترضيه، يغيب فتنتظره، يعود بلا عذر فتعذره، فقط لأنك تحبه، هو الشخص الذي تريد أن تعاتبه بقسوة، ثم تحتضنه وتبكي، شوكة هذا الحب الطاهر الصادق تسبح بصاحبها إلى عالم بعيد عن حقد البشر وبغضهم، بعيد عن القيود التي تطفئ شمعته بعادات وأثقال، بعيد عن قلب المجتمع المتحجر بالطغيان، مملوء بالمحبة التي خلق الإنسان من أجلها، هو الوحيد الذي تذوب بين أحضانه، و تغرقه ببحر حنانك، تمسح دمعته، وتعلمه كيف لا يبكي، عندما تغمره بين ذراعيك كأنما غيوم السماء الممزقة تلف قمرها في ليلة حالكة، هو الذي يطفئ لهيب نفسك بلمساته، ويطمئن قلبك بدفء وأمان همساته، هو الحلم الذي تعمل جاهداً على تحويله حقيقة، ولن تتخلى عنه مهما حصل.

تقسم مراراً وتكراراً على الرحيل، لكنك لا ترحل، تتشاجر معه دائماً، وترمم ذلك بعدها، فقط لأنك تحبه، فأنت لا تحتاج إلى شخص يكملك، بل تحتاج إلى شخص يتقبل ما أنت عليه تماماً، غيابه كغياب اللون عن الصورة، لا يفقدك الحياة كما يفقدك طعم الحياة، كل يوم تكتشف أن لا شيء يشبهه، وأنه أجمل شيء، لا ترى السعادة إلا معه، وتجد الاستغناء عنه أمراً مستحيلاً.

تشعر بأنه بجانبك في كل لحظة، حتى لو كان بعيداً، الحب أنت وهو في كفة، والكون كله في كفة أخرى، تغار عليه من خياله، من نسمات الهوى التي تداعبه، تتمنى أن تعيش معه نفس الحلم، ومعاً تجعلانه حقيقة، فهو ليس حكاية ولا قصة ولا رواية، بل هو روح بجسدين، حتى لو كانت نهايتهما، فمعه فقط تشعر بالكمال، ولا ينقصك شيء سوى هو، فإذا أردت امتلاك قلبه لا تتحدث عن الحب، بل تصرف بحب، فلتحب كأنك لم تجرح سابقاً لتسمو بروحك و تستمر قدماً في هذه الحياة ..

نماذج في الحب

تكثر النماذج عن الحب، وتتنوع معوقات كماله، من الحالة المادية، إلى الاجتماعية، من امتناع الأهل وفرضهم أزواجاً معينين، إلى الدين والطوائف والعادات والتقاليد التي وضعها الإنسان ليقيد نفسه بها، وغيرها الكثير، والنموذجان التاليان يبينان بعضاً منها :

نموذج 1

لما استأمنت الطيور بين القضبان المورقة، وأغمضت الأزهار عيونها وسادت السكينة، سمعت وقع أقدام خفيفة على الأعشاب، فحولت نظري وإذا بفتى وفتاة يقتربان مني، ثم جلسا تحت شجرة غضة وأنا أراهما ولا أُرى. وبُعيد أن تلفت الفتى إلى كل ناحية سمعته يقول: اجلسي بجانبي يا حبيبتي واسمعيني. ابتسمي لأن ابتسامتك هي رمز مستقبلنا، وافرحي لأن الأيام قد فرحت من أجلنا. حدَّثتني نفسي بالشك الذي يخامر قلبك والشك في الحب إثم يا حبيبتي. عن قريب تصيرين سيدة هذه الأملاك الواسعة التي ينيرها ذلك القمر الفضي، ربة هذا القصر المضاهي قصور الملوك، تجرك خيولي المطهّمة في المنتزهات وتذهب بك مركباتي الجميلة إلى المراقص والملاهي. ابتسمي يا حبيبتي كما يبتسم الذهب في خزائني، وارمقيني كما ترمقني جواهر والدي. اسمعيني يا حبيبتي، فقد أبى قلبي إلا أن يسكب أمامك مخبآته. أمامنا سنة عسل، سنة نصرفها مع الذهب الكثير على شواطئ بحيرات سويسرا وفي متنزهات إيطاليا و قرب قصور النيل وتحت أغصان أرز لبنان. سوف تلتقين الأميرات والسيدات فيحسدنك على حلاك وملابسك. كلّ ذلك لك مني، فهلّا رضيت ؟ آه ما أحلى ابتسامك ! ابتسامك يحاكي ابتسام دهري. وبعد قليل رأيتهما يمشيان على مهل ويدوسان الأزهار بأقدامهما كما تدوس قدم الغني قلب الفقير.

غابا عن بصري وأنا أفكر بمنزلة المال عند الحب. أفكر بالمال مصدر شرور الإنسان وبالحب منبع السعادة والنور.

ظللت تائهاً في مسارح هذه الأفكار حتى لمحت شبحين مرّا من أمامي وجلسا على الأعشاب. فتى وفتاة أتيا من جهة الحقول حيث أكواخ الفلاحين في المزارع. وبعد هنيهة من سكينة مؤثرة سمعت هذا الكلام صادراً من تنهدات عميقة من فم مصدور : كفكفي الدمع يا حبيبتي. إن المحبة التي شاءت ففتحت أعيننا وجعلتنا من عبادها تهبنا نعمة الصبر والتجلد. كفكفي الدمع وتعزّي لأننا تحالفنا على دين الحب، ومن أجل الحب العذب نحتمل عذاب الفقر ومرارة الشقاء وتباريح الفراق، ولابد لي من مصارعة الأيام حتى أظفر بغنيمة تليق بأن أضعها بين يديك تساعدنا على قطع مراحل العمر. إن المحبة يا حبيبتي، وهي الله، تقتبل منا هذه التنهدات وهذه الدموع كبخور عاطر،وهي تكافئنا عليها بقدر ما نستحق. أودعك حبيبتي فأنا راحل قبل أن يغيب القمر.

ثم سمعت صوتاً رقيقاً تقاطعه زفرات أنفاس ملتهبة، صوت عذراء لطيفة أودعته كل ما في جوارحها من حرارة الحب ومرارة التفرق وحلاوة التجلد تقول : الوداع يا حبيبي .ثم افترقا وأنا جالس تحت أغصان تلك الشجرة تتجاذبني أيدي الشفقة وتتساهمني أسرار هذا الكون الغريب .

ونظرت تلك الساعة نحو الطبيعة الراقدة وتأملت ملياً فوجدت فيها شيئاً لاحدَّ له ولانهاية، شيئاً لا يُشترى بالمال، وجدت شيئاً لا تمحوه دموع الخريف ولا يميته حزن الشتاء، شيئاً لا توجده بحيرات سويسرا ولا متنزهات إيطاليا، وجدت شيئاً يتجلد فيحيا في الربيع و يثمر في الصيف، وجدت فيها المحبة.

نموذج2

خرج العريس والعروس من الهيكل يتبعهما المهنئون الفارحون وتتقدمهما الشموع والمصابيح، ويسير حولهما الفتيان المترنمون بالأهازيج و الصبايا المنشدات أغاني السرور.

بلغ الموكب منزل العريس، فاعتلى العروسان مقعداً مرتفعاً ، ثم قامت الصبايا يرقصن ويتمايلن بقامات تلاحق مقاطع اللحن، و أصبح المنزل بكل ما فيه كقيثارة الأوتار في يد جنية غير منظورة تضرب عليها بعنف، و الجميع غارقون في بحر من الخمر والغزل مستسلمون إلى تيار الغبطة منعكفون على استثمار دقائق الحاضر.

كان يجري كل ذلك والعروس الجميلة تنظر بعينين كئيبتين إلى هذا المشهد مثلما ينظر الأسير إلى جدران سجنه السوداء، وتتلفت بين الآونة والأخرى نحو زاوية حيث جلس فتى في العشرين من عمره منفرداً عن الناس انفراد الطائر الجريح عن سربه، كأن ذاته المعنوية قد انفصلت عن ذاته الحسية وسبحت في الخلاء متبعة أشباح الدجى.

انتصفت الليل وتعاظمت غبطة الجماعة حتى صارت ثورة، فقام العريس من مكانه وهو كهل خشن وقد تغلب السكر على حواسه وطاف يتكلف اللطف والرقة بين الناس. في تلك الدقيقة أومأت العروس إلى صبية أن تقترب منها، وبعد أن تلفتت بجزع همست للصبية بصوت مرتعش : أستحلفك يا رفيقتي بالعواطف التي ضمت نفسينا مذ كنا صغيرتين، أستحلفك بكل ما هو عزيز لديك، أستحلفك بالحب الذي يلامس روحينا ويجعلها شعاعاً، أستحلفك بأفراح قلبك وأوجاع قلبي أن تذهبي الآن إلى سليم و تطلبي إليه أن ينزل خفية إلى الحديقة و ينتظرني هماك بين أشجار الصفصاف، تضرعي عني يا سوسان حتى يجيب طلبي. فقامت سوسان من جانب العروس وجلست بقرب سليم وأخذت تستعطفه وهو منحني الرأس لا ينبس ببنت شفة، حتى إذا ما انتهت من كلامها نظر إليها نظرة ظامئ يرى الكأس في قبة الفلك، وبصوت منخفض تخاله آتياً من أعماق الأرض أجابها قائلاً : سأنتظرها في الحديقة بين أشجار الصفصاف. قال هذه الكلمات و قام من مكانه وخرج إلى الحديقة، ولم تمض دقائق حتى اتبعته العروس مختلسة ومثل غزال جازع هارب من الذئاب الخاطفة تقدمت نحو الصفصاف حيث وقف ذلك الفتى. ولما رأت نفسها بجانبه ترامت عليه وطوقت عنقه بزنديها وحدقت إلى عينيه ثم قالت والألفاظ تتسارع من شفتيها بسرعة الدموع من أجفانها : اسمعني يا حبيبي، اسمعني جيداً، ها قد ندمت على جهالتي وتسرعي، انا أحبك ولا أحب سواك، وسوف أحبك منتهى العمر، قد أخبروني بأنك سلوتني وهجرتني وتعلقت بهوى غيري، سمموا قلبي بألسنتهم، ومزقوا صدري بأظافرهم، وملأوا نفسي بكذبهم، قد أخبرتني نجيبة بأنك انشغفت بحبها، قد ظلمتني تلك الخبيثة واحتالت علي حتى أرضى بنسيبها عريساً، فرضيته يا سليم ولا عريس لي سواك. قد تركت العريس الذي اختاره لي الكذب بعلاً، وتركت الوالد الذي أقامه القدر لي وليّاً، وتركت الشرائع التي حبكتها التقاليد قيوداً، لأتبعك إلى أقاصي العالم، إلى قبضة الموت، هلم نسرع من هذا المكان مستترين بوشاح الليل.

كانت العروس تتكلم وفي صوتها نغمة تتموج نبضتها بين اليأس والأمل، واللذة والألم، و كل ما في صدر المرأة من الميول والعواطف.

أما الشاب فكان يسمع وفي داخل نفسه يتصارع الحب والشرف: ذلك الحب الذي يجعل الوعر سهلاً، والظلام نوراً، وذلك الشرف الذي يقف أمام النفس ويثنيها عن رغائبها ومنازعها. ذلك الحب الذي ينزله الله على القلب، وذلك الشرف الذي تسكبه تقاليد البشر في الدماغ.

وبعد أحيان خرساء رفع رأسه وقد تغلب شرف نفسه على ميلها، وحول نظره إلى الصبية الخائفة المترقبة وقال بهدوء : ارجعي أيتها المرأة إلى ذراعي عريسك فقد قضي الأمر ومحت اليقظة ما رسمته الأحلام، أسرعي قبل أن تراك أعين الرقباء فيقول الناس قد خانت عريسها في ليلة العرس كما خانت حبيبها أيام البعاد.

فارتعشت العروس وقالت متوجعة : لا أعود إلى هذا المنزل وبي رمق من الحياة، قد خرجت منه إلى الأبد. لأن يد الحب التي مزجت روحي بروحك أقوى من يد الكاهن التي أسلمت جسدي لمشيئة العريس، ها قد طوقت ذراعي حول عنقك وقربت نفسي إلى نفسك فلا يفرقهما الموت.

فقال الشاب محاولاً الخلاص من ذراعيها متكلفاً إظهار المقت والاشمئزاز : ابتعدي غني أيتها المرأة فقد سلوتك، نعم سلوتك وكرهتك وتعلقت بهوى غيرك، فلم يقل الناس غير الصحيح. هل سمعت ماذا أقول؟ ابتعدي عني ودعيني أذهب في سبيلي.

فقالت الصبية متفجعة : لا لا أصدق كلامك، فأنت تحبني وقد قرأت معنى الحب في عينيك، قد جئت لأتبعك إلى آخر الأرض، فسر أمامي أو ارفع يدك و أهرق دمي.

فقال الشاب وقد رفع صوته عن ذي قبل : اتركيني أيتها المرأة وإلا صرخت بأعلى صوتي وجمعت في هذه الحديقة أولئك الناس وأريتهم عارك، وأوقفت نجيبة التي أحبها قلبي تسخر بك وتبتسم فارحة بانتصارها مستهزئة بانغلابك.

قال هذا وأمسك بذراعها ليبعدها عنه، فتغيرت ملامحها وأبرقت عيناها وتحولت بكليتها من الاستعطاف و الرجاء إلى الغضب والقساوة وصارت كلبوة فقدت أشبالها ثم صرخت : من هي التي تتمتع بحبِّك بعدي، وأي قلب يسكر بقبل شفتيك غير قلبي !

لفظت هذه الكلمات وانتشلت من بين أثوابها خنجراً سنيناً وأغمدته بصدره بسرعة البرق، فهوى على الأرض كغصن قصفته العاصفة، فانحنت فوقه والخنجر في يدها يقطر دماً، ففتح عينيه المغمورتين بظل الموت وارتعشت شفتاه وخرجت هذه الكلمات مع أنفاسه الضعيفة : اقتربي الآن يا حبيبتي، اقتربي يا ليلى ولا تتركيني، الحياة أضعف من الموت، والموت أضعف من الحب، اسمعي قهقهة الفارحين بعرسك، اسمعي رنين كؤوسهم يا حبيبتي، لقد أنقذتني يا ليلى من قساوة هذه القهقهة ومرارة هذه الكؤوس، فدعيني أقبل اليد التي كسرت قيودي، قبلي شفتي، قبلي شفتيّ اللتين تكلفتا الكذب وأخفتا أسرار قلبي، أغمضي أجفاني الذابلة بأصابعك المغموسة بدمي، وعندما تطير روحي في الفضاء ضعي الخنجر في يميني وقولي لهم قد انتحر يأساً وحسداً. قد أحببتك ولم أحب سواك، ولكنني رأيت تضحية قلبي وسعادتي وحياتي أفضل من الهرب بك في ليلة عرسك، قبليني يا حبيبة نفسي قبل أن يرى الناس جثتي .. قبليني .. قبليني يا ليلى.

وضع المصروع يده فوق قلبه المطعون ولوى عنقه وفاضت روحه!

فرفعت العروس رأسها والتفتت نحو المنزل وصرخت بصوت هائل: تعالوا أيها الناس، فهنا العرس وهذا العريس، هلمّوا لنريكم مضجعنا الناعم، استيقظوا أيها النيام وأسرعوا لنريكم أسرار الحب والموت والحياة.

تموج صراخ العروس في زوايا ذلك المنزل، فارتعشت أرواح المغتبطين وأصغوا هنيهة كأن الصحو قد باغت نشوتهم، ثم تراكضوا مسرعين من أبواب المنزل ومخارجه، وساروا متلفتين حتى إذا ما رأوا جثة المصروع والعروس جاثية بقربها، تراجعوا مذعورين إلى الوراء كأن منظر الدماء المنبعثة من صدر القتيل ولمعان الخنجر في يد العروس قد عقد ألسنتهم وأجمد الحياة في أجسادهم.

فالتفتت العروس إليهم وقد اتّشحت ملامحها بهيبة محزنة وصرخت قائلة : اقتربوا أيها الجبناء، ولا تخافوا خيال الموت، فهو عظيم لا يدنو من صغارتكم. اقتربوا ولا ترتجفوا جزعاً من هذا الخنجر فهو آلة مقدسة لا تلامس أجسادكم القذرة وصدوركم المظلمة، انظروا هذا الفتى الجميل المتسربل بحلة العرس – هو حبيبي وقد قتلته لأنه حبيبي – هو عريسي وأنا عروسته، وقد بحثنا فلم نجد مضجعاً يليق بعناقنا في هذا العالم الذي جعلتموه ضيقاً بتقاليدكم ومظلماً بجهالتكم وفاسداً بلهاثكم، ففضلنا الذهاب إلى ما وراء الغيوم، أين هي تلك المرأة الخبيثة الحسود التي وشت إليّ بحبيبي، وقالت أنه شغف بها وسلاني وتعلق بحبها لينساني؟ دعوها تقترب الآن وترى أنها قد جمعتكم لتفرحوا بعرس حبيبي وليس بعرس الرجل الذي اختارته لي ...

أنتم لا تفهمون كلامي، لأن اللجة لا تعي أغاني الكواكب، لكنكم سوف تخبرون أبناءكم عن المرأة التي قتلت حبيبها ليلة عرسها، سوف تذكرونني وتلعنونني بشفاهكم الأثيمة، أما حفدتكم فسوف يباركونني لأن الغد سيكون للحق والروح.

وأنت أيها الرجل الغبي الذي استخدم الحيلة والمال ليصيرني له زوجة - أنت رمز الأمة التعسة التي تبحث عن النور في الظلمة - أنت رمز هذه البلاد المستسلمة لغباوتها استسلام الأعمى إلى قائده الأعمى – أنا أغتفر لك صغارتك لأن النفس الفارحة بذهابها من هذا العالم تغتفر جميع زلات هذا العالم.

حينئذ رفعت العروس خنجرها نحو العلاء، ونظير ظامئ يقرب حافة الكأس أغمدته بعزم في صدرها وهبطت بجانب حبيبها نظير زنبقة قطع عنقها حدّ المنجل، فتململت النساء وصرخن صراخ الخوف والألم، وأغمي على بعضهن، وتصاعد ضجيج الرجال واقتربوا من المصروعين بوجل وهيبة.

فنظرت إليهم العروس المنازعة وقالت ونجيع الدماء ينهل بغزارة من صدرها البللوري : لا تقتربوا أيها العاذلون ولا تفصلوا بين جسدينا، وإن حاولتم فالروح الحائمة فوق رؤوسكم تقبض على أعناقكم وتخنقكم بعنف وقساوة. ولزت العروس إلى حبيبها وألقت شفتيها على شفتيه الباردتين وخرجت هذه الكلمات المتقطعة مع أنفاسها الأخيرة : ها قد امحت الرسوم وانحجبت الأشياء فلم أعد أرى سواك يا حبيبي - ها شفتاي فاقتبل أنفاسي الأخيرة، هلمّ نذهب يا سليم، فقد رفع الحب أجنحته وسبح أمامنا نحو دائرة النور.

وألقت العروس صدرها على صدر حبيبها فامتزجت دماؤه بدمائها وحنت رأسها على عنقه وظلت عينيها محدقتين إلى عينيه.

ولبث الناس صامتين وقد اصفرت وجوههم وتراخت رُكبهم كأن هيبة الموت قد سلبتهم القوة والحراك، فتقدم الكاهن الذي ضفر بتعاليمه أكاليل ذلك العرس وأشار ملعونة الأيدي التي تمد إلى هذين الجسدين الملطخين بدماء الجريمة والعار، وملعونة هي الأعين التي تذرف دموع الحزن على هالكين قد حملت الأبالسة روحيهما إلى الجحيم، لتبق جثة ابن سادوم وابنة عمورة مطروحتين على هذا التراب الدنس المجبول بدمائهما حتى تتقاسم لحمانهما الكلاب وتذري عظامهما الرياح، اهربوا إلى مساكنكم أيها الناس قبل أن تلسعكم ألسنة النار الجهنمية، ومن يبق منكم ههنا يكن محروماً ومرذولاً فلا يدخل الهيكل الذي يركع فيه المؤمنون، ولا يشترك بالصلاة التي يقدمها المسيحيون !

فتقدمت سوسان، تلك السبية التي بعثتها العروس رسولاً إلى حبيبها، ووقفت أمام الكاهن ونظرت إليه بعينين مغرورقتين بالدموع وقالت بشجاعة : أنا أبقى هنا أيها الكافر الأعمى، وأنا أحرسهما حتى يجيء الفجر، وأنا أحفر لها قبراً تحت هذه الأغصان المتدلية، فإن منعتم عني محفراً مزقت صدر الأرض بأصابعي، وإن ربطتم ساعدي حفرته بأسناني. أسرعوا بالخروج من هذا المكان المملوء برائحة البخور واللبان، فالخنازير تأبى استنشاق العطور الزكية، واللصوص الخاطفة تهاب ربّ البيت وتخشى قدوم الصباح، أسرعوا إلى مضاجعكم المظلمة لأن أغاني الملائكة المتموجة فوق شهيدي الحب لا تدخل آذانكم المسدودة بالتراب.

وتفرق الناس من أمام وجه الكاهن العبوس ولبثت الصبية واقفة بقرب الجثتين الهامدتين كأنها أم رقوب تحرس طفليها في سكينة الليل، ولما توارى الجمع وخلا ذلك المكان استسلمت للبكاء والنحيب.

علم الحب :

هناك ثلاثة مراحل للوقوع في الحب وهرمونات مختلفة مسؤولة عن كل مرحلة، والمواقف التي تحدث في الدماغ عندما نقع في الحب تشبه الأمراض العقلية، بالإضافة إلى أنه من الممكن أن ننجذب إلى شخص ما لاشعورياً لأن جيناتنا تشبه جيناته. الرائحة من الممكن أن تلعب دوراً كبيراً أيضاً كالشكل العام عندما يعود الأمر إلى عامل التخيل، فنحن نحب الأشخاص الذين يشبهون أهلنا بالشكل أو بالرائحة.

العلم يستطيع أن يحدد فيما إذا كانت العلاقة ستستمر أم لا، وجنات محمرة، ضربات قلب تتسابق، وأيدي رطبة متعرقة هي في الغالب بعض العلامات الخارجية للوقوع في الحب، لكن داخل الجسد يوجد مواد كيميائية محددة أشعلتها سهام آلهة الحب.

عندما يكون الحديث عن الحب يبدو أننا نكون تحت رحمة كيميائنا الحيوية، واحدة من أفضل الباحثين في هذا المجال – هيلين فيشر Helen Fisher – من جامعة روتجرس Rutgers Univercity في نيو جرسي New Jersey افترضت أننا نقع في الحب على ثلاثة مراحل، كل مرحلة تشتمل على هرمونات مختلفة.

المرحلة الأولى : الرغبة أو التلهف Lust :

الرغبة تحدث بسبب الهرمونات الجنسية – تستوسترون testosterone و أوستروجين oestrogen. تستوسترون لا يشتمل فقط على الرجال، لكنه أيضاً أوضح أن له دور كبير عند النساء أيضاً، وكما تقول هيلين عن هذه الهرمونات : " تخرجك باحثاً عن أي شيء ".

المرحلة الثانية : الجاذبية والإعجاب Attraction :

هذه هي فعلاً مرحلة الحب الصاعقة، عندما يقع الناس في الحب لا يستطيعون التفكير بأي شيء آخر، حتى أنه من الممكن أن يفقدوا شهيتهم أو يناموا لساعات أقل، مفضلين قضاء من الوقت في أحلام يقظتهم عن حبهم الجديد. في هذه المرحلة مجموعة من المرسلات العصبية تدعى monoamines تلعب دور مهم :

* دوبامين، التي تنشّط أيضاً بالكوكائين والنيكوتين.
* Norepinephrine الذي يدعى أيضاً بالأدرينالين الذي يجعلنا نتعرّق ويسرع نبضات القلب.
* سيروتونين، واحد من أكثر هرمونات الحب أهمية والتي قد تجعلنا بشكل مؤقت مجانين.

الرحلة الثالثة : الارتباط Attachment :

هي التي تسيطر بعد مرحلة الجاذبية، إذا كانت العلاقة ستدوم، فالناس عملياً لا يستطيعون البقاء في المرحلة السابقة وإلا لن يقوموا بأي عمل. فالارتباط عبارة عن التزام أطول والرابطة التي تبقي الزوجان سوياً عندما يستمرون لينجبوا أطفالاً، والأكثر أهمية في هذه المرحلة هرمونان يصدرهما الجهاز العصبي التي يُعتقد بأنها تلعب دوراً في الارتباط الاجتماعي:

* أوكسيتوكسين Oxytocin، ينتج من قبل غدة hypothalamus أثناء ولادة الطفل وتساعد أيضاً على إنتاج الحليب، يساعد على تدعيم الرابطة وتقويتها بين الأم والطفل. ينتج عند كلا الجنسين وتذهب النظرية إلى أنه كلما قام الزوجان بالعملية الجنسية بشكل أكثر كلما أصبحت الرابطة بينهما أعمق.
* فاسبروسين Vasopressin، مادة كيميائية أخرى مرحلة الالتزام الطويلة وهو عنصر مسيطر مهم من الكلية اكتشفه العلماء أثناء دراستهم لفأر الحقل.

الحب والكراهية والغيرة

تحدث الفلاسفة والشعراء والكتاب والروائيون والنفسانيون عن الحب والميل العاطفي ولكن مهما قالوا ومهما تحدثوا مازال الحب لغزاً معقداً يصعب حله.

إن الشعور بالحياة مرده إلى الحب، والذين تفتقر أنفسهم إلى الحب دون ان تكون عامرة بالحب؛ أشقياء انطفأ عندهم المصباح، فمثلاً فلان لم يوفق في الحب لأنه عجز عن إقناع الفتاة التي اختارها لتستجيب لعواطفه فتبادله حباً بحبّ، فيصبح يبغض نفسه لأنه فشل في حبّه وقد يستبدّ به البغض حتى يتمنى لنفسه الموت - وما الانتحار إلا نتيجة كراهيته لنفسه، وبمعنى آخر نتيجة الفشل في الحب.

إن سر البقاء جاء مع الغريزة، وهي الغريزة التي اجتمعت فيها ألوان العواطف المتباينة - من الحب إلى الغيرة إلى الكراهية، فقد خُلِق الحب لنعطف على من نحب، ونسد حاجاتنا النفسية والجسدية، وخُلقت الغيرة لندافع عمن نحب، والكراهية لنكره من لم يبادلنا الحب أو لنكره من أساء لنا ولمشاعرنا من ناحية أو أخرى.

وكل تقدم للبشرية قام على الحب وكل حب تركز لقواعد الحياة، ومن سوء الحظ أن يوجد شخص ما ينفر من الناس، فينطفئ في قلبه نور الحب، مثله ناس كثر يعجزون عن الحصول على الحب، أو أنهم حصلوا عليه ولكنهم عجزوا عن الاحتفاظ به فضلّوا وعاشوا على هامش الحياة – هؤلاء يسيرون إلى اليسار – في حاجة إلى من يرشدهم إلى الطريق السليم.

حب من أول نظرة

كثيراً ما يجيء الحب من النظرة الأولى فتسقط الفتاة في الحب من أول لقاء، وقد تكون الاستجابة بطيئة فيحب اثنان بعضهما بعد زمن، وقد لا يتقدم الحب إطلاقاً مهما طال الزمن أو طالت العشرة، فالحب من النظرة الأولى حقيقة أيَّدتها التجارب.

والحب بالمعنى الصحيح أن يجد الإنسان استجابة لعواطفه وحواسه، فالنفس كالموجة الكهربائية الموجبة، إذا وجدت موجة سالبة انجذبت إليها، وكلما كانت شدة الجذب زادت شدة الحب.

والحب معناه الأنانية، فحبي لشاب معناه رغبتي في أن أستحوذ عليه ليكون تحت سلطاني وحدي ملكي لا يشاركني فيه أي شخص آخر، وهو إذا رفض أو ابتعد، غضبت وانتابتني الغيرة، فالإنسان أناني الطبع يحب نفسه، وتظهر هذه الأنانية في تعلقه بأفراد عائلته، فالذي يحب أو يود الزواج من الذين يمدون إليه بصلة رحم إنما هو بذلك يؤكد الأنانية التي في نفسه وهو أكثر أنانية من الذي يتزوج من دم بعيد.

وتتعقد مشكلة الحب على حساب أن الإنسان لا يعرف ميول نفسه أو يضل الطريق في تفهم عواطف شريكه وفي هذا ما يحطم الحب أو بمعنى آخر يؤدي إلى فشل كثير من العلاقات، فحقيقة الحب والانجذاب وتزعزع العاطفة أحياناً تكون واضحة جلية وأحياناً غامضة مختبئة نعجز عن إدراكها.

ويكثر مرض الحب ويكثر صراعه ويفشل الكثيرون في تكييف الحياة على مزاجهم، وبالتالي يعجزون عن الوصول إلى السعادة التي رسموها في أذهانهم وسبب كثرة الفشل راجع إلى كثرة تطور العالم وكثرة إيصال الناس واختلاطهم ودخول ثقافات وتعدد الميول.

الكراهية ومرض السادزم

بين المرأة والرجل منذ الأزل نزاع دائم في سبيل السيطرة والسلطان، فالرجل يريد أن يملي إرادته، بينما المرأة تحاول أن تعلي كلماتها، وهذا النزاع قد يكون كامناً في الشعور، وقد يكون ظاهراً طافياً على السطح، فالحب بين الرجل والمرأة في الواقع نزاع مستمر يحاول كل من الطرفين أن يأسر الآخر بشباكه وأن يجعله عبداً لإرادته، فليس هناك حب من دون أن يجاوره كراهية، وليس هناك كراهية من دون أن يمازجها حب.

معنى هذا أن الحب نوع من الكراهية، والكراهية نوع من الحب، ولكن ليس معناه أن الذي لا يحب يكره، لا ليس هذا هو المعنى، وإنما الذي لا يحب لا يشعر بالكراهية.

فالشعور المضاد للحب ليس الكراهية، فالحب والكراهية يسيران جنباً إلى جنب، فنحن نكره الشخص الذي نحبه لأن الكراهية تولد في القلب مع مولد الحب، فإذا أنا كرهت الفتاة فلأني أحبها، والكراهية التي في قلبها لأنها أبت أو تمنعت، فعوضت حبي لها بكراهية فإذا عادت إلى حبي، أي إذا رضخت لي؛ استكانت جمرة الكراهية واختفت وظهر الحب واضحاً على السطح، كذلك الشأن في الكراهية، فأنا عندما أكره فتاة إنما معنى ذلك أن الحب يكون كامناً تحت الستار، فتحت هذه الكراهية يركد سلطان الحب، يظهر هذا السلطان قويّاً في خيالاتي ومناماتي وأحلامي، ولكني أقاوم الحب بكل قوة متخذاً من الكراهية درعاً يحميني حتى لا تغلبني قوة الحب فأرضخ وأستسلم.

بين الرجل والمرأة صراع عنيف ويجب أن يكون مفهوماً أن كلا الطرفين ولو أنهما يبدوان في شبه سعادة وتعاون؛ إلا أنهما يعيشان في نضال مستمر، فهو يريد أن تكون له الكلمة وأن يكون السلطان كله بيده وأن تكون هي عبدة إرادته، بينما هي تريد أن تكون الكلمة والسلطان فالرغبة التي تسامر كلا الطرفين لأن يرضخ الطرف الآخر لإرادته، هذه الرغبة التي تطبع الحب بطابع القوة والعنف تظهر واضحة في مرضى السادزم، فمريض السادزم يتسم بالقوة والعنف ويتلذذ بأن يصيب حبيبته أنواع العذاب، كذلك الشأن في مريضة السادزم تتلذذ بأن تعامل زوجها بخشونة وقسوة، وليس معنى القسوة التي يتسم بها هؤلاء المرضى بأنهم لا يحبون ما يحب الغير، أو أنهم لا يميلون كما يميل الغير، إنما معناها أنهم يميلون إلى السيطرة والسلطان، وأنهم يحبون أن يظهروا سيطرتهم على من يحبون.

يجب أن يكون مفهوماً أيضاً أن الشخصية العاطفية تختلف عن الشخصية الاجتماعية، فالرجل الصارم في حياته العملية الذي يريد أن يكون سيد زملائه في العمل قد تكون له شخصية هزيلة أمام زوجته، فبسمارك الرجل الحديد والنار الذي حكم ألمانيا بقوة دكتاتورية لمدة ربع قرن دون معارضة، كان كالحمل الوديع أمام زوجته.

ومن النساء من تكون قوة السيطرة فيهن كبيرة جداً ويكون مرض السادزم الذي يجيش في صدورهن على درجة عالية؛ مثل هؤلاء النساء إذا تزوجن من مريض بالسادزم يكون النزاع بينهما كبيراً مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الفراق.

العاشق المحب الذي يغرم بأنثى يكون متأثراً بها لأنها تملأ كيانه وذهنه ويكون حينئذ مسيّراً بإرادتها مأخوذاً بها فتأثيرها عليه أكثر من تأثيره عليها، والمفتون بأنثى المعجب بها عندما يعمل جاهداً على عدم السقوط في هوة الحب، إنما غرضه من ذلك ألا يجعل قلبه أداة في يد أنثى أخرى تلعب به كيفما شاءت لأن شعوره بالكرامة يحتم عليه عدم الانصياع للحب.

والمرأة التي تعيش في كبرياء عاطفي يعز عليها أن تعطي شيئاً من عواطفها لزوجها، فالكرامة كما تتصورها أن تظل في برود مع زوجها أو أي مخلوق آخر ليس أهلاً للحب، ففي الحب رضوخ وخنوع، ومن ثم تعيش معه بجسمها، أما عواطفها فليس له الحق فيها، والحب بنظرها هزيمة نفسية يجب ألا تقتلها، مثل هؤلاء النساء اللواتي يفضلن العيش محرومات من الطبيعة، وهذا الحرمان من شأنه أن يفتح أمامهن أبواب الانحرافات فيقع الكثير منهن في أمراض الحب المشابه، كما يفتح أمامهن أبواب الانهيار العصبي فيعشن شقيات حزينات تنطوي قلوبهن على صفحات مكللة بالسواد، مدعيات السعادة بينما الحزن العميق كامن في صدورهن، وقد تحمل الأنثى في نفسها غريزة حب التجربة فتقدم على الرذائل بدافع التجربة، فلا عجب إذا أحبت المرأة زوجها حباً عميقاً وأخلصت له ثم راحت تبحث عن مغامرات عاطفية أنها تريد أن تتعلم أشياء جديدة في الحياة الغريبة عليها.

قسوة الحب

ليست العلاقة الجنسية بالمعنى الصحيح علاقة الجسد، وإنما هي علاقة عاطفية واستجابة للروح والنفس، وليس الحب ميلاً جنسياً بحتاً وإنما هو ميل للروح والنفس، فإذا شبع الجسد دون أن تشبع الروح ظل الحب متعطشاً دون أن يرتوي، وإن شبع القلب دون الجسد، ظلت الحياة الجنسية جافة لا ترتوي.

والحب أشبه الزرع الذي يحتاج إلى ماء وهواء ولا يمكن أن يعيش إذا افتقد أحدهما، فإذا الشاب أحب فتاة ظلت نار الحب ملتهبة ولا يكفي في إطفائها المقابلات والكلام والحديث وإظهار الصبابة وبث لواعج النفس ومع أن في هذه المقابلات ما يشبع الروح والعاطفة، إلا أن الجسد لم يرتو، وبذلك يبقى الرجل في لوعة حتى يتم الزواج فتهدأ نفسه، ولقد قيل أن في ليلة الخطبة يموت نصف الحب وفي ليلة الزفاف يموت النصف الآخر، على الأصح هو أنه في ليلة الخطبة تشبع الروح فتهدأ وتركن، وفي ليلة الزفاف يأتي الجسد بدوره فيشبع ويهدأ هو الآخر، وبذلك تسكن بالزواج صبابة الحب ولهفة القلب.

ولقد قيل أن الحب الكامل بالمعنى الصحيح يكاد يكون معدوماً، فكل شخص يرسم في خياله صورة شريك أحلامه فبقدر ما يكون هذا الشخص ناقصاً عن تلك الصورة بقدر ما يكون الإخفاق في الحب، وفي هذا ما يفسر البرود والظلام الذي يصعب الحب والزواج، فالواقع أن شعلات الحب التي التهبت في مثل هذه القصص شعلات خادعة لم يكن الحب فيها ناضجاً نضوجاً كاملاً، دائما كان خداعاً كالسراب سرعان ما يبرد ويطفئ ليعقبه ملل وسأم ثم فراق.

الخاتمة

الحب، وما أعظم من تلك الكلمة، سيبقى ذلك السر المبهم المحفوظ في كتب الأبدية، والمحفور على جدران الحياة وصرخات الزمان، فهو كالزئبق في اليد، إذا تركتها مفتوحة بقي فيها، وإن أغلقتها، ضاع منك، هو ذلك الذي يعيش مع كل نفس وكل حركة، مع كل رمشة عين، وكل دقة قلب، هو وميض الأمل في حياة الكثيرين من العشاق، والسبب الذي يدفعهم ليكملوا طريقهم في الحياة بجانب من يحبون، فبعد أن ترفع الصحف، وتجف الأقلام، لن يعود في وسع هذا القلب أن يصرخ أكثر، فالحب موطنه القلب والروح، كلنا نستحقه، كلنا نستحق أحداً يحبنا، كلنا نستحق أن نشعر بالأمان بجانب الشخص الذي نعشقه ولا نتخيل حياتنا بدونه، ذلك الشخص الذي كلما فكرت فيه شعرت أن هناك سبب لحياتك، وهو .. هو ... ، لحن حياتك وأغنيتك المفضلة التي حفرها الحب في داخلك، ذلك الشخص الذي تكون مستعداً لتهديه روحك رخيصة في سبيل حبكما.

لكن، وعندما يحوم طير الفراق في الأجواء غيوماً ملبدة، وتكفهرّ السماء، تغص القلوب، وتذرف العيون دماً لا دمعاً، وعندما تعمل المسافات عملها، يتجسد الشوق في الأنفس و يبقى الأمل باللقاء غصناً يانعاً في حديقة المشاعر، يبقى الأمل بالرجوع كبيراً، فقصة الحب ليست مجرد ذكريات كتبت على الرمال وسيمحوها الزمان، بل هي نقوش حفرت على جدران الحب ونقشت بين حكايات الغرام، ستبقى تذكر كل شيء، فبتجعد أنفه الصغير وضحكة عينيه يغني قلبك المجنون، ويرقص على نغمات العشق والهيام، الفراق ليس عذاباً، بل هو موت يعذب ببطئ ثم يقتل، البعد يجعلنا لعبة بين أيدي القدر والحياة، يجعلنا نعشق النوم، لربما في أحلامنا سنرى ما نتمناه في واقعنا، ليعود لحن الحب ويعزف من جديد على قلوبنا وملايين القلوب الأخرى.

المصادر و المراجع

* جبران خليل جبران، دار الصادر بيروت، المجموعة العربية، دمعة وابتسامة، ابتسامة ودمعة صفحة 257
* جبران خليل جبران، دار الصادر بيروت، الأرواح المتمردة، مضجع العروس، صفحة 111
* بابلو نيرودا، 100 قصيدة حب، القصيدة37
* كولن ويلسن، الغرائز والاضطرابات النفسية، تقديم محمد علي أحمد، مطبعة النصر1991
* أحلام مستغانمي، نسيان.com
* <http://www.bbc.co.uk/science/hottopics/love/>